

الفصل السابع عشر

جمال وعدد من إخوانه من مدينة الخليل يركبون سياراتهم التي تتطلق بهم إلى صورييف لزيارة صديقهم عبد الرحمن... يطرقون الباب فيخرج عبد الرحيم جارياً لدى الباب فيجد أصدقاء عمه وأصدقاءه الكبار الذين يعرف غالبيتهم، فلطالما زارهم برفقة عمه منذ طفولته... يبتسم مرحباً، أهلاً وسهلاً، ويلتفت لداخل الدار صارخاً: يا عمي لقد جاء الشباب لزيارتك، ثم يلتفت إليهم: تفضلوا... تفضلوا ويفسح لهم الطريق إلى غرفة الضيوف، بينما عمه عبد الرحمن يأتي مسرعاً مرحباً، يجلسون يتحدثون وعبد الرحيم يعتبر نفسه واحداً منهم رغم فارق السن الذي قد يزيد عن خمسة وعشرين عاماً. تجهز النساء طعام الغداء ويحضرونه حتى باب الغرفة فيخرج عبد الرحمن وعبد الرحيم ليدخلاه، وبعد أن يتناولوا طعامهم يخرجون للتنزه في أطراف القرية، وعبد الرحيم يرافقهم.

الأرض سهلية خصبة، ولكنها تخلو من الزرع الجيد وبقياً أسلاك ممتدة بمسافات بعيدة، يشير عبد الرحمن إلى الأسلاك قائلاً: هذا خط الهدنة الفاصل غربه الأراضي الفلسطينية التي احتلت عام ١٩٤٨ و عام ١٩٦٧ وجزء من أراضي القرية للغرب من السلك لعائلتنا أربعون دونماً قد صودرت عام (٤٨) وهذا الجزء يكمل أرضنا بضع دونمات لا نستطيع زراعتها لمحاذاتها للحدود الفاصلة، لا تنس هذا يا عبد الرحيم. فيهز عبد الرحيم رأسه وهو يتمتم، وكيف أنس يا عم وكيف أنس؟ فيتمتم جمال وكيف ينسى وكيف ننسى، وكيف يعيش المرء من دون قلبه وجوارحه... .

يستقلون السيارة التي تتطلق بهم إلى الخليل وعبد الرحيم يجلس إلى جوار عمه، على الطريق عشرات السيارات تحمل إشارة الترخيص صفراء اللون مما يعني أنها إسرائيلية، تسير في الاتجاهين رائحة وغادية، ينفث جمال زفيراً ساخناً بصوت صاخب قائلاً: ثم ماذا مع هؤلاء المستوطنين لقد ابتلعوا الأرض لا يكتفون ولا يتوقفون عند حد...